



نقد آليات الهيمنة السياسية
في القصة القصيرة العربية المعاصرة

Criticism of the Political Hegemony Mechanisms
in the Contemporary Arab-Short Story

حدوش زهية¹، بوهنة فتيحة²

¹ جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)، zahiahadd90@gmail.com

² جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)، boussena1970@gmail.com

الملخص:

رافقت القصة القصيرة مسار التحولات السياسية والاجتماعية للبلدان العربية، وعندما حدث ما سُمي بالثورات العربية وسقوط بعض الأنظمة، وجد الكاتب القصة القصيرة مادة ثرية لرصد هذه التحولات، وكشف الأسباب التي أدت إليها، ولجأ الكثير منهم إلى تفكيك آليات الهيمنة التي أدت إلى ظلم الشعوب. في هذا الصدد تناول الكاتب المغربي "ميمون جرّش" تأبؤ السياسة ضمن مجموعته القصصية "النظير" بصورة صريحة في قصة "كشف المستور بين شين وبرعا وزلنبور"، ولقّهم كيفية اشتغال الهيمنة السياسية سنحاول تحليل هذه القصة وفق المقاربة الصراعية لدى الباحث الفرنسي "بيير بورديو - Pierre Bourdieu، 1930-2002"، كونه عمل على تعرية واقع السلطة وفضح لعبة التنافس والهيمنة من خلال إثراء سوسيولوجيا الهيمنة بمنظومة إجرائية ثرية ومفاهيم عملية مثل: الحقل، العنف الرمزي، رأس المال النوعي، الهابتوس.

الكلمات المفتاحية: الهيمنة السياسية، مقاربة صراعية، قصة قصيرة.

Summary:

The short story accompanied the course of political and social transformations in the Arab countries, and when the so-called Arab

revolutions occurred along with the fall of some regimes, the writer found the short story as a rich material for monitoring these transformations and revealing the reasons that led to them. Many of them resorted to dismantling the mechanisms of domination that led to the oppression of peoples. In this regard, Moroccan writer "Maimon Hirsch" explicitly addressed political taboos in his collection of stories entitled "Al-Nazeer", particularly in the short story entitled "Kashf el Mastour bayna Sheen, Bara'a wa Zalenbour". To understand how the political hegemony operates, we will try to analyze this short story according to the conflict theory written by the French researcher Pierre Bourdieu "1930-2002", as he worked on uncovering the truth of power and exposing the game of competition and domination by enriching the sociology of hegemony with a rich procedural system and practical concepts such as: the field, symbolic violence, specific capital, Habitus ... etc.

Keywords: political hegemony, conflict theory, short story

مقدمة:

تعد الهيمنة السياسية من المحاور الفكرية التي عالجتها القصة القصيرة، فقد جندت رؤيتها لتصور الممارسات السياسية الفاسدة، وتكشف عن التجاوزات الخطيرة التي يمارسها النظام السياسي، لتصبح وظيفة القصة القصيرة واقعية نقدية، حيث تنتقد السياسة والمجتمع من زوايا مختلفة.

صورت قصة "كشف المستور" للكاتب المغربي "ميمون جرّش" هيمنة السلطة وفككت ألياتها، وهي قصة إعرافية قامت على الحوار بين شخصها، وهم حُكّام ثلاث دول عربية هي: تونس، ليبيا ومصر، حيث اجتمع الثلاثي الهرم في منفاهم الاضطرابي وقرّروا نزع الأقنعة والاعتراف بكل ممارساتهم الفاسدة طوال فترة توليهم سدة الحكم، مُنتهجين أساليب ملتوية وآليات قهرية لإحكام السيطرة على دُولهم.

تقوم القصة على حدث "الاعتراف" الذي ينزاح نحو البوح والمُكاشفة وتعرية الذات، كما أن الدافع الرئيسي من ورائه هو التبجح والمزايدة في الطغيان والفساد، وكذا التباهي بالممارسات القهرية التي ارتكبتها هؤلاء الحكام في حق شعوبهم، وفي هذا يقول "سيغموند فرويد-Sigmund Freud": «الاعتراف المُعبر والكامل والأمين عن الحياة يتطلب الكثير من التهور الطائش للبوح الفضائحي عن شخصي، فضلاً عن الآخرين من الأسرة وأصدقائي والاقارب ومعظمهم لا يزال حيّاً، وهذا أمر ببساطة خارج المسألة بالنسبة إليّ» (1) وهذا يوضّح أن الاعتراف يعتمد على البوح والجرأة الزائدة في تعرية الذات، فيرى، "فيبر-Weber" أن الاعتراف هو قول للحقيقة المطلقة، «ورغم أنّ هذه الاعترافات أدّت إلى هزّة عنيفة داخل

المجتمعات الأوروبية إلا أنها ساهمت في إلقاء الضوء على الانحرافات الموجودة داخل المجتمع، مما دفع علماء النفس والتربية والاجتماع والقانون إلى التفكير في تنظيم المجتمع، ووضع الوسائل التي تؤدي إلى رفعة السلوك الإنساني وتحت على العلاقات السوية بين البشر»(2)، كما أن العملية الاعترافية والكشف عن الذات «ليست عملية ميسورة ومُتاحة لكل أحد، بل فيها مُحَاوَرَة ومُدَاقَعَة بين الإنسان ونفسه، فيها كَرٌّ وقر بين الرغبة الجادة والصدق، أو التحفظ أو التكتُّم عن أسرارهِ وعُيُوبِهِ، وأخيراً ينطلق دون مبالاة للمُؤاضَعَات الاجتماعية والقيم الأخلاقية(...)، ولهذا فالاعتراف من أكثر الأشكال ارتباطاً وتمحوراً حول الذات، حيث نجد صاحبه يتخلَّص من التَشَتُّت والاستغراق في موضوعات أخرى، ليمتركز في بؤرة مُحَدَدَة تُمَثِّل مَلَقَات من سِجِل الحياة»(3)، لهذا يعتبره الكثيرون من الفضائح كونه يقترن بالجهر بالسوء، وحكي ما يندى له الجبين.

تصُبُّ معاني "الاعتراف" والمُكاشَفَة في مَعِين واحد، ويؤدي مفهومها غالباً إلى نتيجة ثابتة، كونه مُتَعَلِّق بإظهار الجانب الخفي والسيئ للإنسان، فكلُّ اعتراف يَقُود إلى بوح ومُصَارَحَة، وهو ما نجده في هذه القصة من خلال الاعتراف بمظاهر الهيمنة.

من هذا المنطلق حَرِي بنا أن نتساءل: فيما تتمثَّل ميكانزمات الهيمنة ووسائلها التي انتهجتها المؤسسة السياسية لفرض سطوتها على المجتمع؟ ومن أين تستمد مشروعيتها؟ وما الآثار التي خلفتها على الصعيد السياسي والمجتمعي؟

استطاع الكاتب أن يرصد من خلال اعتراف شخصيات القصة أبرز آليات الهيمنة التي انتهجتها السلطة السياسية، ونرصد منها ما يلي:

1-الهيمنة على الثروة: (رأس المال الاقتصادي):

يقوم فكر "بورديو-Bourdieu" حول الهيمنة على عد المجتمع حقلاً للتنافس والصراع كونه لا يخلو من تمايزات طبقية، إضافة إلى اعتبار الفضاء المجتمعي يضم مجموعة من الحقول (champs) أو العوالم المجتمعية الصغيرة، مثل: الحقل الاقتصادي، الحقل الثقافي... إلخ، التي تتميز بالدينامية والصراع حسب نسبة ما يحوزُه الفاعلون فيها من رأسمال اقتصادي أو ثقافي أو اجتماعي بُغية تغيير موازين القوى داخل الحقل المعني، وينتج عنه ما أسماه "بورديو" بـ "ثورة في الحقل"، وعليه فالفضاء المجتمعي مُركَّب بطريقة يتوزَّع فيها الفاعلون حسب «وضعهم في التوزيعات الإحصائية حسب مبدأي التفرقة: رأس

المال الاقتصادي، ورأس المال الاجتماعي»(4)، فيشكّل هذان المبدآن سبباً جوهرياً في اختلال نسب الهيمنة والاستحواذ في الحقل المجتمعي، كما أن حقل السلطة مثلاً «ليس حقلاً كسائر الحقول إنه مكان علاقات القوة بين أنواع رأس المال المتعددة، أو بكلام أدق بين الفاعلين المزودين كفاية بأحد أنواع الرأسمال المتنوعة بما يجعلهم قادرين على السيطرة على الحقل المعني»(5)، فللرأسمال قدرة على السيطرة والهيمنة على الفاعلين الذين يملكون نسب أدنى منه، لذا يُعتبر قوة فاعلة رمزية في يد السلطة، باعتبارها تملك مزايا أكثر وهذا ما يمنحها الاعتراف بالشرعية.

إن استحواذ السلطة على الثروة من أبرز الأساليب المنتهجة لفرض نفوذها وهيمنتها، حيث عمّد الحُكّام الثلاثة في المجموعة القصصية إلى الاستيلاء على المخزون المالي للدولة، ذلك أن الكاتب "ميمون جرّش" جعل من شخصية الحُكّام تملك ثراءً فاحشاً من خلال استحواذهم على الموارد المالية طيلة فترة تولّيهم سُدنة الحُكم، وهذا ما يكشفه الحوار الذي دار بين "زنبور" و"شين"، يقول "زنبور": «كنت أحرص على ملء البنوك في كل بلد بنكا بنكا، فيها أكّدس ثرواتي، وما سويسرا ولا ألمانيا ولا بلجيكا ولا فرنسا شغفت قلبي ولكن ما تُخزّنه لي بُنوكها»(6)، وقوله: «على ذكر البنوك أنا أكثركم عزّاً ونَفراً وثروةً، شين: وهذا يعني أنك أكثر منّا نفاقاًو لُصُوصيّةً، زنبور: لا .. ليس الأمر كذلك .. أنا مختلف أنا العقيد، ولستُ رئيساً مثلكما، وحصة الأسد لي طبعاً»(7).

يكشف هذا الحوار عن كيفية اشتغال المتولّين لِمَمام السلطة، فالحاكم يمتلك الثروة بحُكم موقعه السياسي، ويستحوذ عليها بحُكم نفوذه وسطوته، فالمال سبب القوة، كما يرى "ألڤن توفلر-Alvin Toffler" في كتابه "تحول السلطة" أي أنّ الثروة مصدر سلطة، ومصدر من مصادر القوة، لذا فتولّي السلطة يُعدّ مُسوِّغاً كافياً للاستيلاء على الثروة.

فتمنح السلطة الرمزية صفة المشروعية التي تسهم في ضمان هيمنة طبقة على أخرى، وهذا ما سمّاه "بورديو" العنف الرمزي، «وذلك عندما تُفدّ لِنجدتها، وتطعيم علاقات القوة والغلبة التي تؤسسها»(8)، فيمتلك الحُكّام حظوظ الاستئثار بالرأسمال كون السلطة الشرعية تُحوّل لهم هذا الامتياز، ممّا يخلق تفاوتاً اجتماعياً، واختلالاً في نسب توزيع الثروة بين السائد والمُسود، كما تمنح السلطة الرمزية «الشرعية للشخص الشرعي (...) مستثمراً في ذلك منزلته في علاقات القوى ورؤوس أمواله المتأتية من هذا الموقع، فيستأثر بحظوظ التمكّن والهيمنة على أولئك الذين أقصوا من فضاءات الشرعية وحُرموا منها»(9)، فينتج

التوزيع اللامتكافئ للثروة (رأس المال): طبقات اجتماعية مُسيطرَة ومُسيطر عليها، وتفاوت اجتماعي، فئة النخبة الحاكمة التي تحوز على الممتلكات وفئة المُسودين الذين يرزحون تحت نير الفقر والتمييز.

وفي قول "شين": «وهذا يعني أنك أكثر مِنّا نفاقاً ولُصوصيّة» (10) ارتباط الهيمنة على الثروة بسياسة الفساد الذي هو «إساءة استخدام سُلطة مُؤتمنة من قِبَل مسؤولين من أجل مكاسب خاصة بهدف زيادة السلطة أو الثروة (...) كذلك يعتبر الفساد السياسي إساءة استخدام السلطة العامة من قِبَل النُخب الحاكمة لأهداف غير مشروعة» (11)، فيُعبّر الفساد بوجهه الصريح عن سوء استخدام المنصب واستغلال النفوذ.

تحيلنا هذه الممارسة إلى استجلاب مبدأ "ميكافلي-Machiavelli" "الغاية تبرّر الوسيلة"، وهو المبدأ الذي «يرفض خضوع السياسة لأي قاعدة أخلاقية، ويربطها فقط بمصلحة السلطة ... مصلحة الأمير ومنفعته الذاتية ولا تُقيدها بأي قيمة إنسانية مهما كانت الوسيلة المستخدمة قاسية وعنيفة وغير شرعية» (12)، فمفتاح كنز السلطة هو التنصّل من الأخلاق والضمير والقيم الإنسانية.

يتواصل الحوار الذي كَشَف الممارسات الفاسدة بين الحُكّام حيث قال "شين": «طلبات ليلى وحدها استنزفت ثروات الشعب تمامًا ... بشق الأنفس كنت أقوى على تلبية طلبات ليلاي..

زلبور: إيه: كُلُّ يُغَيّي على ليلاه، قصّرنا حين لم ننتبه إلى أن لشُعوبنا ليلاهم أيضًا.. !
برعا: وهل كُنّا لِنفسَح لهم المجال للحُب أيضًا؟ .. كان همُّهم هو جُيُوبهم، وتركها خاوية سلاح مُضاد ليس ضد الحُب، وإنما ضد أي تمرّد..» (13).

كذلك قول "زلبور": «نحن دومًا الأوائل وهم الآخرون والمفروض ألا نترك لهم شيئاً» (14)، فهذا يدلُّ على سياسة الاستنزاف المدروس لمُقدّرات الشعب وخدمة المصالح الشخصية، وتوسيع طائل الثراء مقابل إفقار القسم الأعظم من السُكان، ممّا يُحيل إلى مُمارسة قارّة في النظام السياسي العربي عمومًا هي اختلاس الأموال بداعي تعميق النفوذ وتعزيز الهيمنة، فيتبدّى من جهة أخرى إذعان الشعب واستسلامه لهذه الممارسات ردحًا من الزمن لأن «الجهل بميكانيزمات التراتب الاجتماعي يدفع بالمُسودين إلى مسلك تواطؤ ينعدم فيه الوعي بالتواطؤ والإذعان (...) فالتواطؤ وزيادة عن كونه معرفة وإيمانًا بقُدرة

المُهيمن هو تمثُّل واجتياف لمنطق هذا البخس الاجتماعي (...). هذا الوعي البائس هو أقرب إلى فلسفة البؤس التي عالجها ماركس لأنَّ المُسود فيها ينكر على نفسه خنوعه من حيث يعترف بشرعية التوزيع المُجحف للأدوار المُميَّزة والمُميَّزة داخل الحقل الاجتماعي» (15)، لذا تُعبّر استكانة الشعب و سَمَاحِه لرئيسه بانتهاج سياسة الحُكم الفاسد عن تواطؤ ومشاركة في هذا الفعل دون وعي أو إدراك، كما أن اعترافه بشرعية حاكميه هو اعتراف بقبول جميع سياساتهم و ممارساتهم مهما كان شكلها و مداها.

تُعد الهيمنة على رأس المال نوعاً من (العنف الرمزي) الذي يجعل من «مظاهر الهيمنة تبدو كما لو كانت "طبيعية" في أذهان الناس، وهو يتم تطويره من خلال المؤسسات ويتكئ على تأثيرات السلطة» (16)، من خلال السيطرة على المؤسسة الاقتصادية، فتغدو هذه الممارسة حقاً من حقوق الحاكم اكتسبه من خلال الشرعية التي يتمتع بها، فلا يرى فيها المحكومون حرجاً أو تعدياً على حقوقهم، فيُجيزون له التصرف الحُر في الموارد المالية وإنفاقها حسب رؤيته ورغبته.

أما سُبُل إنفاق هذه الأموال فتتجلى في قول الراوي: «سلطتهم في وجوهم أما شعورهم فأصغرهم تجاوز السبعين من عمره، ومع ذلك فإن الزمن لم يفلح في أن يزرع نبتته ويترك بصمته البيضاء عليها، ذلك لأنهم قهروا الشيب بمراهم تأتهم خصيصاً لنوع شعورهم بأثمنة كانت ستحلُّ مشاكل شعب بأكمله ولمدة طويلة، ولكن رخاء الشعوب هو آخر ما يشغل هؤلاء» (17). فتتجلى هنا أقصى مظاهر الإجحاف والتبذير، حيث حرص هؤلاء الحُكَّام على الاعتناء بمظهرهم مهما كلفهم ذلك من استنزاف لمقدرات الشعب الذي لم يعبأوا بظروفه وأحواله.

إن استفحال الفساد بين الحُكَّام وقادة الدول هو نتيجة لضعف القوانين في التشريعات وغياب المساءلة والشفافية، وكذا سوء التسيير، فتحوّل سيناريو الفساد إلى سلوك مُتعارف عليه، وهو ما أسماه "بيير بورديو" بـ "إعادة الإنتاج"، «ذلك أن آليات الهيمنة هي جزء لا يتجزأ من شروط إعادة إنتاج النظام الاجتماعي السائد ومن جهاز الإنتاج ذاته لهذا النظام، بحيث تبدو الهيمنة تنتج ذاتها وتحفظ إعادة إنتاجها في حركة دائرية غير مُفكَّرة بها» (18)، فتتكلّس الهيمنة على شكل ممارسات ينتجها النظام الاجتماعي الذي يعمل على المحافظة على الوضع القائم لأن «جوهر الأنظمة السياسية هو الجوهر ذاته منذ وعي المجتمعات العربية بأهمية هذه الأنظمة، تتغيّر هذه الأنظمة بسبب عدم قدرتها على التطوُّر

وتشكّل الأضداد في ثناياها، تأتي أنظمة أخرى و تُعيد النسق نفسه» (19)، فأصبحت الوضعية مُزمنة حيث تُعيد الأنظمة إنتاج نفس الأجيال من الحُكّام.

من مظاهر الثراء الفاحش لهؤلاء الحُكّام ما يتجلّى في مُحاورتهم: «زلنبور يبدأ الكلام: ما حَزَّ في قلبي أكثر ليس الكرسي بل خيمتي .. هي توقيع خاص بي وحدي سأفتقدها .. شين مشاكسا: في كل الأحوال هي ليست عادية، بل تُضاهي قُصوري في تونس ... ضحك زلنبور، وقال برعا: أهرامات مصر مُمثلة في قصري أنا وحدي، فدعكما من المبالغة فكل واحد مِنّا له توقيعُهُ» (20).

حَرَص هؤلاء القادة على ترك بصمة خاصة بهم التي تتمثّل في حَيَازة أفخم القُصُور والعقارات التي تَبْثي بثرائهم وتَمَيِّز ذوقهم، وكان لمظاهر الترف والبذخ أثر واضح على واقع الحياة الاجتماعية وهذا ما يتجلّى في الآلية المُؤالية.

2- سياسة الإفقار والتجوع:

أفرزت سياسة الهيمنة على الثروة كثيرا من التعقيدات والأزمات التي عَصَفَت بالأفراد وأثَّرت على مُستَوَاهم المعيشي، فبحُكم سيطرة النخبة الحاكمة على الموارد المالية عَمَدَت إلى انتهاج سياسة إفقار وتجوع مُمنهج في حق الشعب، وهذا تشير إليه المُحاورة التي جَرَت بين الثلاثي الحاكم: «شين: في المدرسة كنت دائما أنا آخر من يفهم، وحين حكمت الخضراء انسقت مع نَزَوَاتي، ولستُ أنا من فهم شعبي، بل ليلي زوجتي . برعا متسائلا: كيف؟

شين: كانت تقول إن بطون الشعوب يمكن أن تنتظر، لأن أصحابها جُبلوا على الصبر والتحمّل .. وبدلاً من ذلك نعمل نحن على تسمين أهلنا أولاً، وما بقي لهُم تالياً. زلنبور: وغالباً لا يتبقى لهم شيء طبعاً! ..» (21).

تكشف هذه المُحاورة عن سوء التسيير الذي يطبع الحكومات العربية، فإضافة إلى المستوى الأكاديمي المتدني للحُكّام وانسياقهم وراء خدمة صالحيهم الخاص، نكتشف أن الحاكم ليس إلاّ واجهة خارجية، بينما تعمل أيدي خفيّة على التسيير، ف "شين" مثلاً الذي حَكَم تونس، كانت حَرْمُهُ (ليلى) تتولى زمام السلطة والتخطيط باعتبارها من فَرَضَت سياسة التجوع.

إن المَسَّاس بِقُوت الفرد هو مَسَّاس بِكِيَانِهِ وَوُجُودِهِ، وانتهاك لأحد حقوقه الطبيعية، وهذا تكون السياسة قد لَامَسَتْ عَصَبًا حَسَّاسًا تُمارِس بواسطته الضغط على الأفراد، مُسْتَغِلَّة صبر الشعب وقدرته على التحمُّل، مُعْتَبِرَةً ذلك جزءًا من فطرتِهِ، فيظهر ها هنا تواطؤ الشعب مع حاكميه ضد نفسه، وما قولها -ليلي- «بطون الشعوب يمكن أن تنتظر لأن أصحابها جُبِلُوا على الصبر والتحمُّل» إلَّا استجلاء لمفهوم "الهابتوس" *Habitus* أو السِّمْت لـ "بيير بورديو" وهو «نَسَق الاستعدادات التي ينشأ عليها الفرد ويكتسبها وهي تتعلَّق بأربعة مستويات العرفاني والخلقي وهيئة الجَسَد والجَمالي، وهي عُمُومًا استعدادات تشتغل وفق إواليات مُعَقَّدة داخلية تُكوِّن حدود النَسَق وتشكُّله أي إنشائه الذاتي في استقلالية عن محيطه وتخرج للناس مُمارسات تعبِّر عن الهوية الاجتماعية لِصَاحِبِهَا» (22)، فيتكوَّن الهابتوس من مجمل الأفكار والمعتقدات التي ينشأ عليها الفرد وتُحدِّد سلوكه، وتُكوِّن رؤيته، كما أنه مشترك بين أفراد الجماعة الواحدة وهو ما يُسمَّى "بالهابتوس الجمعي"، وقد طوَّر "بورديو" هذا المصطلح من مفهوم "الضمير الجمعي" لدى "إيميل دوركايم" *Émile Durkheim* ويتمثَّل في مجموع التصرفات والممارسات التي يشترك فيها مجموعة من الأفراد الذين ينحدرون من نفس الإنتماءات الاجتماعية والمحتوية لأنماط التفكير والسلوكات، والنتيجة بفعل الإدماج اللاواعي للنظم والأعراف التي تحدِّدُها مجموعة الانتماء، ويؤكد "بورديو" على أن التطبُّع سِمَت مُكتسب فهو اجتماعي وليس بالفطرة.

إن سِمَت "الصبر والتحمُّل" الذي تطبَّع به الشعب في القصة محل الدراسة أصبح هابتوسًا مُلَازِمًا له وهذا بفعل مجموعة من المعتقدات التي نَشَأَ بها الأفراد وترسَّبت في لا وعيهم الجمعي، كونهم يَرون فِعْل الطَّاعة والخُوع للسلطة فعل واجب، فنماذج التاريخ الجمعي تبين انقياد الشعوب للدكتاتوريات الحَاكِمة، وعليه فكما يرى "بورديو" أن «السلطة الرمزية لا يمكن لها أن تُمارَس من دون مساهمة أولئك الذين تُصيِّمُهم» (23)، ولا يمكن للسلطة أن تطفئ وتُجور «إلَّا بمساعدة من تحكِّمهم، أي بفضل مساهمة الآليات الاجتماعية القادرة على تحقيق ذلك التواطؤ الذي يقوم على الجَهالة، والذي هو مصدر لكل سُلطة» (24)، فينتج لدى من يخضعون للهيمنة حسب "بورديو" شعور «يجعلهم يُقَدِّمُوا الطَّاعة دون أن يطرَحُوا على أنفسهم مسألة الطاعة، فالعنف الرمزي هو هذا العنف الذي ينتزع واجب الخُضوع دون أن يتم الشعور به بصفته خضوعًا، باعتماده على التماس اجتماعي" ومُعتقدات مُرسَّخة اجتماعيًا» (25).

من هذا المنطلق تبنت السياسة الحاكمة برنامج الإفقر والتجوع بهدف إشغال الشعب عن السياسة، فيغدوا الغذاء سلاحاً بيد السلطة لم تتوان عن استخدامه، يقول برعا: «وهل كُنَّا لنفسَحَ لهم المجال للحب أيضاً، كان همُّهم جُيُوبُهم، وتركها خاوية سلاح مُضَاد ليس ضِدَّ الحُب، وإنما ضِدَّ أي تمرد» (26)، بهذا ينكشف الذكاء السياسي لهذه السلطة لأن الفرد لن يُفَكِّر في التمرد أو المطالبة بحقوقه ما دام يرنح تحت خط الفقر والعوز، «فحين وَضَعَ عَالِم النفس الشهير "أبراهام ماسلو" Abraham Maslow هَرَم الاحتياجات الأساسية للإنسان خلال ورقته البحثية التي قَدَّمها عام 1943، وَضَعَ في قَاعِدَة الهرم الحاجات الفيزيولوجية للإنسان كالطعام والشراب والمسكن وجعلها سَبَاقَة إلى غيرها من الاحتياجات الأخرى» (27)، على اعتبار أن الشخص لا ينشغل بالدرجات العليا من هَرَم الحاجات إلَّا بعد تحقُّق الإشباع في الدرجات الدنيا، «فالتفكير غير منفصل بالمرَّة عن باقي الآليات التطويرية الإخضاعية (...) فهو آلية سوسيو-اقتصادية أكثر فاعلية لتوسيع حقل الطَّاعة والإخضاع، ما دامت ثقافة الفقر تنتج تبعاً لـ "أوسكار لويس" Oscar Lewis أزمة ثقة موسومة بمحدودية اندماج ومزيد انهزامية وانقيادية» (28)، لذا استعانت الأنظمة الاستبدادية بهذه الاستراتيجية لترسيخ حُكْمِها وإخضاع شعوبها، يقول "شين" مُضيفاً: «فهمت .. أيوا فهمت .. لهذا كانت ليلى تقول دائماً: الجوع مثل دموع المرأة هو سلاح ضبط الشعوب .. فأنا يشبعوا معناه أن يتمردوا لهذا كُنَّا حِرَاصاً على أن يظل الشعب جائعاً دائماً» (29)، فالغاية من صناعة الجوع هو ضمان الاستكانة، لأن رفاهية الشعب تؤدي في اعتقادهم إلى رفاهية الفكر والوعي، ممَّا يدفعه إلى التمرد وتهديد كيان السلطة لذا وَجَب وضعه خارج المُعادلة السياسية.

تَتِمَّة للمُحاوَرَة بين رموز الفَسَاد، يُضيف زلنبور قائلاً: «حتى ينصَب تفكيرهم على بُطُونهم ليس إلَّا» (30)، فأسلوب التجوع مخطط سياسي لإبعاد الشعب عن السياسة بِصرف النَّظَر عن تداعياته الذي من شأنه أن يُؤَلِّد أزمات اجتماعية كال فقر والبطالة .. إلخ، كما أن «تأبيد الأزمة يُفيد كثيراً في صرف الانتباه عن القضايا الحيوية المرتبطة بتقسيم الثروة وإقرار العدالة الاجتماعية، ما يُفيد نهاية في مزيد من الهيمنة التي تتغذى على مزيد من الخنوع» (31)، وعليه وثَّقت هذه الاعترافات همجية الأنظمة السياسية الفاسدة من خلال التلاعب بغذاء الإنسان، وجَعَلَهُ أسلوب ضغط على الأفراد خِدْمَةً لأجندات سياسية.

3-التضليل الاعلامي:

تلجأ السلطة الرمزية إلى استغلال كل السُّبُل والوسائل التي تمكّن لها مزيداً من السيطرة، من بينها استغلال وسائل الإعلام لتسويق الصورة التي تخدم موقعها وهذا ما يتجلى في قول الراوي: «كان همُّهم هو أن يظهروا بمظهر شاب في العشرين من عمره، والظهور بالشعر الأسود الفاجم أمام كاميرات العالم هي الصورة التي كان يحرص الثلاثي على تسويقها»⁽³²⁾، باعتبار التأثير الذي تمارسه وسائل الإعلام في الرأي العام والعالمي، فقد استخدمها الثلاثي الحاكم لترويج صورة حَسَنَة عنهم، فأناقة وكاريزما الحاكم عنصر مهم يخدم موقعهم، فما قول الراوي "أمام كاميرات العالم" إلا إحالة إلى وسائط الإعلام منها "التلفزيون" "وقد بيّن "بورديو" بأن التلفزيون «لم يعد أداة لتقديم برامج للتسلية أو للتثقيف حتى وإن كانت برامجها تتضمن ذلك، بل أصبح أداة ضبط وتحكّم سياسي واجتماعي في المجتمعات الراهنة، فهي أداة للعنف الرمزي الذي تستخدمه الطبقات الاجتماعية التي تهيمن عليه وتُسيّره»⁽³³⁾ فيمارس التلفزيون الهيمنة عبر آلية التلاعب التي تتم بواسطة الصورة، وهو ما سمّاه "بورديو" بالتلاعب بالعقول، ذلك لأنه يمارس تأثيراً خفياً على عقول المتلاعب بهم.

وهذا ما حدّده "موزا" في مؤشرات الثلاث، فالتلاعب «أولاً: هو نوع من التأثير الروحي النفسي، يكون هدف المتلاعب الروح والبنية النفسية للشخصية الإنسانية، ثانياً: كون التلاعب من التأثير المخفي لا ينبغي أن تكون حقيقة وقوعه ملحوظة من قبل المُستهدف بالتلاعب، لأن ذلك يلحق الضرر بالمتلاعب، ثالثاً وأخيراً يتطلب التلاعب مهارة ومعارف كبرى»⁽³⁴⁾، وعليه يُقدّم التلفزيون مادّة خادعة للمشاهد، لأن ترويج صورة حَسَنَة عن هؤلاء الحُكّام الفاسدين هو ترويج للزيف والخداع، فعالم الصورة عالم زائف، كونه يمتلك القدرة على الخداع الحاذق الذي يُدَلِّس الحقائق، وذلك بالتغاضي عن كشف الانتهاكات والممارسات الفاسدة للنخبة الحاكمة، إضافة إلى تقديم «مادّة مُخدِّرة ليست لها أهمية في الوقت ذاته الذي يصرف فيه نظر المواطنين إلى القضايا المهمة»⁽³⁵⁾، فَمَا حاجة المشاهد بأناقة الحُكّام في الوقت الذي يُنتظر فيه من الإعلام تقديم محتوى واقعي شفاف يخدم المجتمع وليس إعلاماً مُوالياً للسلطة.

4- الهيمنة بالخطاب (اللغة):

تلجأ السلطة السياسية إلى استغلال آلية الخطاب كأحد الوسائل التي تتلاعب بواسطتها على الأفكار «فمن المعروف أن السفسائية قد وقفت عند سلطة الخطاب عندما اكتشفت الإمكانيات التي تحملها اللغة كالمغالطة والقدرة على التمويه وإيقاع الخصم في الخطأ ودور الخطابة في تغيير الرأي والموقف، ومنذ ذلك التاريخ على الأقل طُرحت مسألة العلاقة بين اللغة والسلطة» (36)، أي علاقة الرسالة اللغوية بوصفها انتاج لسانی مع منتجها "المؤسسة السياسية"، ويتمظهر لجوء السلطة إلى الخطاب السياسي في قصة "كشف المستور" في قول "برعا" لـ "شين": «أعلنت في آخر خطاباتك أنك فهمت شعبك وكرّرت "فهمت" أكثر من مرّة، فهل يُعقل ألا تفهمه وأنت حاكمه منذ 1987» (37).

لقد امتاز خطاب السلطة بالكذب والتضليل الذي يترافق مع جملة من الكلمات المهدّئة من قبيل "فهمت" التي اعتاد المجتمع على سماعها، كما اتّسم خطاب "شين" بالتناقض من خلال ما يعكسه الواقع البئيس وهذا ما جعل صديقه "برعا" يتساءل متعجباً: «أُيعقل ألا تفهمه وأنت حاكمه منذ 1987»، فلم يكن لخطاب المؤسسة السياسية أي آثار تنموية على الصعيد المجتمعي، وإنما مزيداً من الهيمنة عن طريق الوعود الكاذبة والكلمات المطمئنة، لذا يُقرّر "بورديو" أن اللغة كخطاب هي آلية خطيرة لا تقل خطورة عن باقي الآليات لممارسة عنف رمزي، يقول في هذا الصدد: «تكمن خصوصية الخطاب السلطوي (...) في أنه لا يكتفي بأن يكون مفهوماً مُستوعباً (...) وهو لا يفعل فعله الخاص إلاّ شريطة أن يُعترف به باعتباره خطاب نفوذ وسلطان (...) فالخطاب يجب أن يصدر عن الشخص الذي سُمح له بأن يُلقيه أي عن هذا الذي عُرف واعترف له بأنه أهل لأن يُنتج فئة مُعيّنة من الخطابات وأنه كفؤ جدير بذلك» (38)، فتعتمد لغة السلطة على المكانة الاجتماعية للمُخاطب وبواسطتها تمتلك القدرة على السيطرة والإخضاع.

فالحاكم يمتلك رأسمال ثقافي ورمزي يزيد من تأثير خطابه اللغوي على الطبقات الدنيا، وهكذا تصبح اللغة آلية من آليات العنف الرمزي المرتبطة بالمشروعية - أي بالمؤسسة الناطقة بها - وهي السلطة السياسية التي تتلاعب بالأفكار وتمارس الإقناع كما يكشف الخطاب عن قيمته وقوته في استخدام ألفاظ تأثيرية من قبيل "فهمت" كما أن "التكرار" يعمل على ترسيخ أفكار وتصوّرات السلطة، ويتّضح أن مرسل الخطاب كان يمارس

بالتلفظ سلطته إضافة إلى مُمارَسة تلاعب خفي، فمن جهة يعتبر المتلقي "منيع السلطة" ومن واجب الحاكم خدمة شعبه، ولكنه في الخفاء يمارس العنف الرمزي بكل أشكاله.
خاتمة:

- كشفت قصة (كشف المستور) من المجموعة القصصية "النظير" عن مختلف آليات الهيمنة الرمزية التي انتهجتها السلطة الحاكمة بغية فرض نفوذها كاستيلاء على رأس المال الاقتصادي وسياسة التجويع والتضليل الإعلامي والهيمنة بالخطاب.
 - استجابت القصة بمرونة للقاموس السوسيولوجي لنظرية الهيمنة لدى "بيير بورديو".
 - أثبتت مقارنة "بيير بورديو" الصراعية نجاعتها في تصوير مختلف أشكال الهيمنة الرمزية التي انتهجتها السلطة السياسية.
 - اعتمد الكاتب "ميمون جرّش" لتقييم الوعي السياسي على رؤيته الواقعية السياسية، ربما من خلال تجربته في الحياة وكذلك من خلال أساليب الهيمنة والغطرسة التي مارسها الأنظمة السياسية في الحكم، باعتبار أن كثيرا من الأنظمة العربية تغيب عنها الديمقراطية.
 - بلورت هذه القصة واقع السلطة بكل مساوئها وغيوبها، وكذا إفلاس الأنظمة السياسية ومُفرزاتها على الأوضاع الاجتماعية بسبب براعة السلطة في النهب.
 - أسهم الاعتراف الذي قامت عليه القصة في طبع النص بِسِمَةِ المباشرة.
- مراجع البحث وإحالاته:**

- 1 - دانيال مندليسون وآخرون، قضايا أدبية -نهاية الرواية وبداية السيرة الذاتية-، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2011، ص 139.
- 2- jacques le carme, l'autobiographie, armand colin, éd 2, paris, 1997, p 90.
- 3-وردة لعراب، أدب الاعترافات: قراءة نظرية للماهية وإشكالية المصطلح، مجلة مقاربات، م4، ع4، مارس 2016، ص389
- 4-بيار بورديو، أسباب عملية إعادة النظر بالفلسفة، تعريب: أنور مغيث، دار الأزمّة الحديثة، بيروت-لبنان، ط1، 1998، ص 28.
- 5-على شلهوب، قراءة مُقارَنة في مفهوم السلطة بين "ماكس فيبر" و"بيار بورديو"، مجلة أوراق ثقافية، بيروت-لبنان، <https://www.awraqthaqafya.com>
- 6-ميمون جرّش، النظير، قصص قصيرة، مطابع الرباط نت، ط1، 2015، ص 96.

- 7- المرجع نفسه، ص نفسها.
- 8- بيار بورديو، الرمز والسلطة، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 3، 2007، ص 51.
- 9- بيار بورديو وجان كلود باسرون، إعادة الإنتاج، في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم، تر: ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط1، 2007، ص 54-55.
- 10- ميمون جرّش، النظر، قصص قصيرة، ص 96.
- 11- الوزاني كنزة، أثر الفساد الإداري على أبعاد التنمية المستدامة في الجزائر (2004-2014)، أطروحة ماستر، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2015، ص 22.
- 12- سالم القمودي، سيكولوجيا السلطة، مؤسسة الانتشار العربي، ط2، 2000، ص 95.
- 13- ميمون جرّش، النظر، قصص قصيرة، ص 95.
- 14- المرجع نفسه، ص 99.
- 15- بيار بورديو وجان كلود باسرون، إعادة الإنتاج، في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم، ص 76.
- 16 - Pierre Bourdieu et loic Wacquant, Réponses: pour une anthropologie réflexive, Paris, Seuil, 1992, pp: 141-143.
- 17- ميمون جرّش، النظر، قصص قصيرة، ص 92.
- 18- بيار بورديو وجان كلود باسرون، إعادة الإنتاج، في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم، ص 57.
- 19- فتحي بوخالفه، نحو منهجية جديدة لكتابة التاريخ روائيا -رواية ألف عام من الحنين لرشيد بوجدره أنموذجًا، دفا تر مخبر الشعرية الجزائرية، م1، ع1، مارس، 2009، ص 144.
- 20- ميمون جرّش، النظر، قصص قصيرة، ص 93.
- 21- المرجع نفسه، ص 94.
- 22- بيار بورديو وجان كلود باسرون، إعادة الإنتاج، في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم، ص 387.
- 23- بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، تر: سلمان قعفراني، مراجعة: ماهر تريمش، المنظمة العربية، بيروت - لبنان، ط1، 2009، ص 69.
- 24- بيار بورديو، الرمز والسلطة، ص 61.

- 25- بيار بورديو، أسباب عملية، إعادة النظر بالفلسفة، ص 233.
- 26- ميمون جرّش، النظير، قصص قصيرة، ص 95.
- 27- رندة عطية، التجويع كسلاح رادع للهيمنة وإخضاع الشعوب <https://www.noonpost.com>
- 28- التفقيز. جريمة اغتيال لأجل التطوع <https://www.TRTarabi.com>
- 29- ميمون جرّش، النظير، قصص قصيرة، ص 92.
- 30- المرجع نفسه، ص 96.
- 31- التفقيز. جريمة اغتيال لأجل التطوع <https://www.TRTarabi.com>
- 32- ميمون جرّش، النظير، قصص قصيرة، ص 92.
- 33- بيار بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، تر: درويش الخلوجي، دار كنعان، دمشق، ط1، 2004، ص 21.
- 34- يُنظر: سرجي قره موزاه، التلاعب بالوعي، ص 38-39.
- 35- محمد فروق كركيش، العنف الرمزي: نحو تفكيك استراتيجي للسلطة والقهر والهيمنة، مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في الأدب العربي <https://www.ssrcaw.org>
- 36- يُنظر: الزواوي بَغُورَة، بين اللغة والخطاب والمجتمع، مقاربة فلسفية اجتماعية، إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، 2020، ص 35.
- 37- ميمون جرّش، النظير، قصص قصيرة، ص 94.
- 38- بيار بورديو وجان كلود باسرون، إعادة الإنتاج، في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم، ص 59.

مراجع البحث:

- 1- بيار بورديو، أسباب عملية، إعادة النظر بالفلسفة، تعريب: أنور مغيث، دار الأزمّة الحديثة، بيروت- لبنان، ط1، 1998.
- 2- بيار بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، تر: درويش الخلوجي، دار كنعان، دمشق، ط1، 2004.
- 3- بيار بورديو، الرمز والسلطة، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2007.

- 4- بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، تر: سلمان قعفراني، مراجعة: ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط1، 2009.
- 5- بيار بورديو وجان كلود باسرون، إعادة الإنتاج في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم، تر: ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط1، 2007.
- 6- دانيال مندليسون وآخرون، قضايا أدبية -نهاية الرواية وبداية السيرة الذاتية – الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2011.
- 7- سالم القمودي، سيكولوجيا السلطة، مؤسسة الانتشار العربي، ط2، 2000.
- 8- ميمون جرّش، النظر، قصص قصيرة، مطابع الرباط نت، ط1، 2015.
- 9- Jacques Le Carme, l'autobiographie, armand colin, éd 2, paris, 1997
- 10- Pierre Bourdieu et loic Wacquant, Réponses: pour une anthropologie réflexive, Paris, Seuil, 1992

المقالات:

- 1- الزواوي بَغُورَة، بين اللغة والخطاب والمجتمع، مقارنة فلسفية اجتماعية، إنسانيات، المجلّة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، 2020، صص 33-57
- 2- فتحي بوخالفة، نحو منهجية جديدة لكتابة التاريخ روائيا، رواية ألف عام من الحنين لرشيد بوجدرّة أنموذجًا، دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، م1، ع1، مارس، 2009، صص 133-195.
- 3- وردة لعراب، أدب الاعترافات: قراءة نظرية للماهية وإشكالية المصطلح، مجلة مقاربات، م4، ع4، مارس 2016، صص 388-396.

الرسائل الجامعية:

- 1- الوزاني كنزة، أثر الفساد الإداري على أبعاد التنمية المستدامة في الجزائر (2004-2014)، أطروحة ماستر، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2015.

المواقع الإلكترونية:

- 1- التفقير .. جريمة اغتيال لأجل التطوع <https://www.TRTarabi.com>
- 2- جميل حمداوي، المفاهيم السوسولوجية عند بيير بورديو <https://www.alukah.net>

3- رندة عطية، التجويع كسلاح رادع للهيمنة وإخضاع الشعوب <https://www.noonpost.com>

4- على شلهوب، قراءة مقارنة في مفهوم السلطة بين "ماكس فيبر" و"بيار بورديو"،
<https://www.awraqthaqafya.com>

5- محمد قروق كركيش، العنف الرمزي: نحو تفكيك استراتيجي للسلطة والقهر والهيمنة، مركز الدراسات
والأبحاث العلمانية في الأدب العربي

<https://www.ssrcaw.org>